ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Educational Centers and their Role in Scientific Research Advancement in Iraqi society

Prof. Dr. Khaled Hamo Hassani Al Douri

Tikrit University College of Education for Human Sciences

Asst. Prof. Dr. Thawrah Khattab Ali

Tikrit University College of Education for Human Sciences

* *Corresponding author: E-mail* :اميل الباحث

***Keywords*:**
Basra Mosque
Kufa
Al-Hira
Al-Mustansiriya

ARTICLE INFO

Article history:
Received 4 July. 2021
Accepted 17 Aug 2021
Available online 25 Jan 2022
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

ABSTRACT

Iraq has been known since antiquity for its ancient cultural and scientific heritage that extends since the middle of the fourth millennium BC when it discovered writing. This legacy continued with its development and the breadth of its achievements to present to the world the first educational institutions, Hammu Rabi (1792_1750 BC) who established two schools, the first one is in Spar and the second one is in Kish. Iraq presented the world with the oldest legal legislation and issued four laws that are rightfully the oldest and most complete laws discovered so far

My research titled (educational centers and their role in the scientific research advancement in the Iraqi society) aims to clarify the educational means in Iraq, their role and impact on contemporary and future generations and urging them to provide the best. Based on the importance of what we mentioned, the Iraqi person has proven his ability to communicate with the past and draw inspiration from his cultural heritage to build his present and its future, especially those related to the educational and academic aspect.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.2-1.2022.6

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

المراكز التعليمية ودورها في نهوض الحركة الفكرية في المجتمع العراقي

ا.د. خالد حمو حساني الدوري/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية
ا.م.د ثورة خطاب علي/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

عُرفَ العراق ومنذ القدم بموروثه الحضاري والعلمي العريق الممتد منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد عندما اكتشف الكتابة، واستمر هذا الموروث بتطوره وسعة انجازاته ليقدم للعالم أولى المؤسسات التعليمية اذ أنشأ حمو رابي (١٧٩٢_١٧٥٠ق.م) مدرستين الأولى في سبار والثانية في كيش ، فضلا عن ذلك قدم العراق للعالم أقدم التشريعات القانونية فاصدر أربعة قوانين تعد بحق أقدم وأكمل قوانين

مكتشفة لحد الآن .

إن بحثي الموسوم (المراكز التعليمية ودورها في نهوض الحركة الفكرية في المجتمع العراقي) يهدف إلى توضيح الوسائل التعليمية في العراق ودورها وتأثيرها على الأجيال المعاصرة والمستقبلية وحثهم على تقديم الأفضل ، وانطلاقا من أهمية ما ذكرناه فقد اثبت الإنسان العراقي قدرته للتواصل مع الماضي واستلهام موروثه الحضاري لبناء حاضره ومستقبله لاسيما ما يتعلق منه بالجانب التعليمي والأكاديمي

المقدمة

شهد العالم بالموروث الحضاري والعلمي العريق للعراق الممتد منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد عندما اكتشف الكتابة، واستمر هذا الموروث بتطوره وسعة انجازاته ليقدم للعالم أولى المؤسسات التعليمية اذ أنشأ حمو رابي (١٧٩٢_١٧٥٠ق.م)مدرستين الأولى في سبار والثانية في كيش ، كما قدم العراق للعالم أقدم التشريعات القانونية فاصدر أربعة قوانين تعد بحق أقدم وأكمل قوانين مكتشفة لحد الآن .

إن بحثي الموسوم (المراكز التعليمية ودورها في نهوض الحركة الفكرية في المجتمع العراقي) يهدف إلى تقديم صورة واضحة لأهمية الوسائل التعليمية في العراق ودورها وتأثيرها على الأجيال ألمعاصره والمستقبلية وحثهم على تقديم الأفضل ، وانطلاقا من أهمية ماذكرناه فقد اثبت الإنسان العراقي قدرته للتواصل مع الماضي واستلهام موروثه الحضاري لبناء حاضره ومستقبله لاسيما مايتعلق منه بالجانب التعليمي والأكاديمي.

انتظم البحث بمقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، كان المبحث الأول منها من نصيب المساجد وأهميتها في التواصل العلمي والإيماني والمعرفي حتى أصبحت من الأسس المهمة التي لايمكن للمجتمع العراقي التخلي عنها ،واختص المبحث الثاني بالمدارس والمكتبات وأهمها المدرسة النظامية والمستنصرية والتي تعدان بحق من مفاخر العراق الثقافية والعلمية ،لذا أصبحت بحق أساسا رصينا لازال العراقيون يعتمدون عليها في جامعاتهم ومعاهدهم العلمية في الوقت الحاضر، وجاء المبحث الثالث ليؤكد على أهمية دور العلم وأهمها ٠بيت الحكمة والتي اهتمت بتعريب العلوم الأجنبية وعرض نتاجات العلماء والباحثين في التحول الحضاري داخل المجتمع العراقي والمنهجية العلمية التي مازالت مستمرة حتى وقتنا الحاضر الا أنها بطريقة جديدة وعصرية ، وجاءت استنتاجات البحث والتي تؤكد على ضرورة إظهار دور الوسائل التعليمية في بناء المجتمع العراقي بناءا رصينا لايبتعد عن تعاليم القرآن والشريعة السمحاء وضرورة تمسك الإنسان العراقي بموروثه العلمي المجيد واعتماده أساسا للانطلاق نحو مستقبل أفضل وبطريقة حضارية تنسجم مع التطور العالمي.

التمهيد

حفل تاريخ العراق ومنذ القدم بإنجازات حضارية كبيرة ساهمت كثيراً في بناء المدنية التي نعيشها في الوقت الحاضر، فللسومريين والاكديين والبابليين والأشوريين حضارة عريقة نطقت بما وصلت اليه الحضارة من الرقي والتقدم في التاريخ القديم .

ودلت الأبحاث التاريخية انه أهم ما أكتشف من تاريخ العراق القديم هي مجموعة القوانين وأقدمها قانون أور نمو (٢٠١٣- ٢٠٩٦ ق.م) مؤسس سلالة أور الثالثة، ومجموعة قوانين العهد البابلي القديم وهي قانون ليث عشتار وقانون اشنونا وقانون حمو رابي والتي تعد بحق أقدم وأكمل مجموعة قوانين مكتشفة في العالم لحد الآن[١] .

واستمر ذلك العطاء حتى في أحلك الظروف تعقيدا وقساوة وهذا له دلاله على قدرة العراقيين على التواصل في الإبداع الحضاري , ومع انبثاق الدعوة الإسلامية كان للعراق وجودا فاعلا في التطور العلمي ،اذ ظهرت العديد من المدارس التي استطاعت ان تتواصل مع الجذور التاريخية للعلوم وتنسجم مع الدعوة الجديدة وتؤكد على أهمية العلم وكثيراً ما حاربت الجهل وأهله ، فذكر القلقشندي: ((ان عدد الكاتبين من بين العرب عندما بعث النبي(ﷺ) لم يكن يزيد على بضعة عشر نفراً))[٢] ، لذا كان التعليم قريناً للدعوة الإسلامية منذ بداياتها وكانت أولى آيات القرآن الكريم تحث على العلم والتعليم بقوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[٣]، كما وردت آيات أخرى تحث على التعليم وترفع من شأن المتعلم وقدره بقوله تعالى:﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[٤].

والجدير ذكره ان ذلك الموروث العلمي لم يتوقف عند مرحلة من مراحل التاريخ , بل استمر الإبداع والعطاء والتواصل حتى أصبح سمة مميزة للمجتمع العراقي في قدرته على الاتكاء على موروثه العلمي وتعزيزه بالابتكارات الحديثة , وهذا ينطبق بشكل واضح وحيوي على مسيرة الجامعات العراقية , فلا يمكن ان نتعرف على دور الجامعات العراقية دون الرجوع الى المدرسة النظامية او المدرسة المستنصرية.

وانطلاقا من هذا الفهم وجد في العراق مراكز عظيمة أكثر مما كان في الشام واهم هذه المراكز هي الكوفة والبصرة، اذ لم يكن في القرن الأول الهجري مدينة تستطيع منافستهما ، ففيها وضعت علوم العقائد والفقه وفيها نشأت مدرسة النحويين واللغويين[٥] .

وقد ظهرت تلك الدراسات لأول مرة في كلتا المدينتين العظيمتين الخالدتين، وما القواعد التي تعلمناها في مدارسنا وكلياتنا في الوقت الحاضر الا قبس جهود أثار أجدادنا الكوفيون والبصريون[٦].

لقد أدت البصرة والكوفة دورهما الواضح في الدراسة العلمية للغة العربية وقواعدها وتعليمها لمن أعتنق الإسلام من الأجانب، وكان هناك باعثاً لهذه الدراسات منها تزويد المسلمين الجدد باللغة التي يحتاجون إليها في دراسة القرآن والذي يحتاجونه في صراعهم مع الأعداء والغزاة، كذلك تقليص الهوة الواسعة التي

كانت تزداد أتساعاً فتفصل ما بين لغة القرآن العظيمة ولغة الكلام اليومية التي كانت تخالطهما السريانية والفارسية[٧] .

واللافت للنظر ظهور نشاط عقلي أخر في البصرة أوائل القرن الثاني الهجري أذ كانت تعقد جلسات تنظر وتناقش المسائل السياسية الجارية فتجادلوا في الإسلام والديانات الأخرى وفي مسألة القضاء والقدر ووضع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد أسس مدرسة عقلية جديدة هي مدرسة المعتزلة[٨] .

وفي العراق ايضاً برع العقل العربي بعلم آخر ذو طابع فلسفي أذ تألق أبو يوسف يعقوب في أسحق الكندي الذي ولد في الكوفة في دراسة الفلسفة الارسطو يالية وأصبح بحق أول عربي عمل على تحويل علم الكلام إلى فلسفة حتى أستحق تسمية ((فيلسوف العرب))[٩] .

لقد تنوعت العلوم والمعارف التي سادت العراق مثلما تنوعت في مختلف الأمصار الإسلامية والتي أشتغل بها المسلمون في صدر الإسلام الا أن هذه العلوم قسمت إلى ثلاث مجاميع هي[١٠]:

١- العلوم أو الآداب الإسلامية وهي علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والتاريخ .

٢- الآداب الجاهلية او العربية والتي كانت سائدة في الجاهلية وارتقت في الإسلام وهي الشعر والخطابة .

٣- العلوم التي نقلت إلى العربية من اللغات الأخرى كالطب والهندسة والفلسفة والفلك وسائر العلوم الطبيعية .

المبحث الاول

الوسائل التعليمية :

نظرا لسعة العلوم والمعارف التي سادت في العراق وتنوعها فقد اصبحت الحاجة ملحة ايضا لتنوع وسائل التعليم وترصينها لذا انتشرت في العراق وسائل عديدة أهمها المساجد والمدارس والمكتبات والكتاتيب ودور العلم.

١.المساجد :

واكب المسجد الدعوة الإسلامية منذ بداياتها وظل ملازماً لها، اذ عد من أولويات الأعمال التي قام بها الرسول (ﷺ) بعد هجرته إلى المدينة بالإضافة إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وإعلان صحيفة المدينة[١١] .

وأصبح مسجد الرسول محمد (ﷺ) الذي بناه في المدينة المثل العام الذي يحتذى به في بناء المساجد العامة في القرن الأول الهجري، وكان المسلمون حريصون على بناء المسجد عند أنشاؤهم المدن لأنه يعد مظهراً من مظاهر سيادة الدين الإسلامي في الأمصار المفتوحة[١٢]، كان المسجد

في بدايته منتدى للمسلمين يلتقي فيه الصحابة ويتشاورون مع الخليفة في شؤون الدولة، كما كان مركزاً للحياة السياسية والاجتماعية للدولة ففيه تقرر الغزوات ومنه يبعث السفراء وفيه يبايع المسلمون الخليفة وكانت كتب الخليفة وأوامره تقراً على الناس في المساجد[١٣]، فلم يكن مكاناً للعبادة وأداء الصلاة حسب .

هذه الواجبات يضاف إليها نشاط آخر إذا أصبح المسجد مركزاً للثقافات الإسلامية وملتقى للعلماء، كما كان مجلساً للقضاة أيضا لعقد جلساتهم وإصدار أحكامهم [١٤] .

ويسجل لمساجد العراق أنها كانت أكثر مساجد الأمصار اهتماما بالثقافة اذ شهدت الكثير من مظاهر النهضة العلمية والأدبية ويعلل الخربوطلي ذلك بأن كراهية أهل العراق للغناء والموسيقى وتحريم بعض الولاة للغناء، كان السبب الرئيسي في أثراء نشاط المجالس الأدبية في المساجد[١٥] .

أما أهم المساجد التي أنشأت في العراق وأدت دوراً كبيراً في نهوض الآداب والمعارف فهي:

- مسجد البصرة:

أول المساجد التي أنشأت في الأمصار الإسلامية بعد الفتح، بناه عتبة بن غزوان المازني (١٦هـ/ ٦٣٧م) بعد تمصير البصرة، وكان المسجد في بداية الأمر ارض مكشوفة يحيط بها سياج من قصب ثم اعاد بناءه ووسعه ابو موسى الأشعري سنة (١٧هـ/ ٦٣٨م)[١٦] .

أدى مسجد البصرة دوره الريادي ورسالته الدينية والتهذيبية والتعليمية على أكمل وجه، اذ مثل المنتدى الوحيد الذي يلتقي فيه الشعراء والأدباء، وقد أتخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٤هـ) المسجد مقراً له وهو العالم الذي أشتهر بعلم اللغة، ومن شدة تعلقه واهتمامه بالعلم ذكر انه سبب موته انه دخل المسجد فصد مته سارية اذ كان يقطع بحراً من العروض، كما أشتهر من طلابه سيبويه (ت ١٨٠) والذي يعد أمام البصريين في النحو[١٧] .

من جهة أخرى لم يبتعد مسجد البصرة عن الجدل الفكري الذي ساد العالم الإسلامي حول مرتكبي الكبائر بسبب اختلاف القادة على الخلافة وما جر ذلك من فتن فتفرق المسلمون أحزابا وشيعاً ووقعوا في صراع دموي راح ضحيته عدد من أعلام الصحابة وراح المسلمون يكفر بعضهم بعضاً .

وفي هذه الأجواء التي أتسمت باحتدام الجدل حول حكم مرتكب الكبيرة بدأت حلقات المناظرة تعقد في مسجد البصرة وأشهرها حلقة الحسن البصري والتي ظهرت منها فرقة المعتزلة، فقد ذكر انه احدهم دخل على الحسن البصري وهو في مسجد البصرة يسأله الحكم على مرتكب الكبيرة فسبقه واصل بن عطاء في الإجابة بقوله: ((انا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر))، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من اسطوانات المسجد فقال الحسن ((اعتزل عنا واصل))، فسموا هو وأصحابه المعتزلة[١٨] . ان المتتبع لحركة المعتزلة يجد أنها أحدثت أثراً كبيراً في التفكير الإسلامي خاصة والتفكير الإنساني عامة، لاعتمادهم على العقل وتفسيرهم للأحداث والظواهر الإنسانية بالروح

العلمية وبالأسلوب المنطقي المعتمد على الحجة فلم يبق بينهم وبين الفلاسفة كالكندي والفارابي لا فرق قليل لان مناهجهم في الدفاع عن أفكارهم اقتربت من مناهج الفلاسفة لذلك قال فيهم الخوارزمي: ((ان العراق يحسد على أشياء كثيرة منها الاعتزال البصري))[١٩] .

- مسجد الكوفة :

أنشأه سعد بن أبي وقاص وكان المسجد اول بناء في الكوفة بعد ان أختار مكاناً بين الحيرة والفرات لبناء مدينة الكوفة سنة (١٧هـ/ ٦٣٨م)[٢٠] .

أصبح مسجد الكوفة كما هو مسجد البصرة مركزاً مهماً للدراسات بمختلف مجالاتها ومن هذا المسجد بدأ الاهتمام بدراسة اللغة دراسة علمية بعد ان تأثرت العربية باللغات الأخرى، كادت ان تفقد خصائصها الأصيلة، كل ذلك ادى إلى ظهور علم النحو ويرجع احد الباحثين ان الإمام علي (عليه السلام) هو الواضع لعلم النحو وان ابو الأسود الدؤلي اخذ ذلك العلم منه، فالأمام علي (عليه السلام) أملى على ابي الاسود الدؤلي في ذلك العلم في مسجد الكوفة أيام أقامته في تلك المدينة العريقة[٢١] .

كما أشتهر مسجد الكوفة كونه مركزاً من مراكز دراسة الفقه وظهرت منه مدرسة لتفسير القرآن الكريم، وأبرز من أشتهر في تعليم القرآن الكريم والافتاء به ستة هم: علقمة والأسود ومسروق وعبيدة والحارث بن قيس وابن شرحبيل، وعمل هؤلاء على تكوين حركة علمية كان ابرز رجالها شريح وعامرا لشعبي وسعيد بن جبير، ويسجل لمسجد الكوفة ان الطلبة الدارسين فيه كانوا يقبلون على حلقات الدرس بحماس شديد حتى روي ان عدد طلاب الحديث بلغ أربعة آلاف طالباً سنة (٨٢هـ)[٢٢].

- مسجد المنصور:

أنجز الخليفة ابو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م) عاصمته بغداد سنة (١٤٧هـ)، وكان العمل قد بدأ فيها سنة (١٤٥هـ) وشيد في وسط المدينة قصراً كبيراً مربع الشكل وسقف القصر بالساج وزخرفه بماء الذهب لذلك سمي ((قصر الذهب))، ثم شيد المسجد الجامع وجعله ملاصق لقصر الذهب وكانت مساحته مائتين في مائتين[٢٣]، وظل الجامع أكبر جوامع بغداد ويجلس فيه القضاة للنظر في القضايا كما كان العلماء يلقون محاضراتهم فيه، وجرت عليه توسعات عدة من قبل عدد من الخلفاء العباسيين[٢٤] .

ان اهتمام الخلفاء العباسيين بالحركة العلمية ورعايتهم لها دفع الكثير من العلماء للقدومإلى بغداد وخاصة المساجد ومنها مسجد المنصور لذا تخرج من هذا المسجد الكثير من العلماء فقد ذكر ياقوت: ((ان ألكسائي كان يجلس في جامع المنصور ليقرأ اللغة وتتلمذ عليه الفراء وابن السعدان))[٢٥] .ونظراً للسمعة العلمية التي نالها جامع المنصور انه أصبح التدريس فيه أمنية للعلماء بل أصبح همهم ان ينالوا

منصباً تدريسياً فيه وكان الخطيب البغدادي احدهم اذ ذكر انه لما حج شرب من ماء زمزم وسأل ان يحقق له ثلاث حاجات إحداها ان يحقق له إملاء الحديث في جامع المنصور[٢٦] .

كان للواجبات التي نهض بها المسجد كوسيلة من وسائل التعليم في العراق ان أصبح المكان الأول لطلب العلم، ولم يكن نظام التعليم فيه معقداً بل انه مجموعة حلقات كان تدار في وقت واحد فالداخل إلى المسجد يرى جماعة يقرئون القرآن، وفي ركن أخر جماعة من الأدباء والشعراء يفسرون قصيدة من قصائد الشعر الجاهلي او الإسلامي، وفي ركن ثالث كان عالماً يتوسط تلاميذه ويفسر لهم آيات من القرآن الكريم او بعض أصول الحديث[٢٧] .

ويذكر ان التدريس في المساجد العراقية كان بنظام الحلقات اذ يجلس الدارسين في ركن من أركان المسجد ويأخذ الأستاذ مكانة في أول الحلقة وحوله تلاميذه، اما لغة التدريس فكانت اللغة العربية مما أتاح للقادمين من مختلف البلاد العربية تفهم المحاضرات والدروس بسهولة ويسر .

المبحث الثاني :

المدارس والمكتبات:

أشتهر العراق ببناء المدارس وتنوعها الا أنها أتسمت بالبساطة خلال القرون الهجرية الثلاث، ثم أدى تطور الحركة الفكرية إلى ظهور مدارس أتسمت بخصائص متطورة لاسيما خلال القرن الخامس الهجري وما بعده، وفي وصف ابن جبير لهذه المدارس وإحصائها يقول: ((انه في بغداد نحو ثلاثين مدرسة كلها في الشرقية التي هي دار الخلافة))[٢٨]، الا ان أشهر هذه المدارس هي :

١ .المدرسة النظامية:

هي واحدة من مجموعة مدارس أسسها ابو الحسن بن علي بن أسحق الطوسي ((نظام الملك)) وهو وزير للسلطان السلجوقي آلب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ /١٠٦٣- ١٠٧٢م)، وابتدأ بنائها في ذي الحجة من سنة (٤٥٧هـ /١٠٦٤ م) وتم افتتاحها في ذي العقدة من سنة (٤٥٩هـ)، وهي أول مدرسة بوشر في بنائها ببغداد[٢٩] , ولم يحدد موقع المدرسة بشكل دقيق الا ان هناك اشارات وردت يمكن الاستدلال عليها اهمها مانقله لنا العلامة مصطفى جواد بان موقع المدرسة النظامية هو سوق الخفافين عند جمع الخفافين الحالي والذي كان يسمى (مسجد الحظائر) وهو من ابنية العصور العباسية المتأخرة وكل هذه الأبنية تقع في آخر سوق الثلاثاء ومكانها اليوم في موقع سوق الكمرك وخان جغان .

ولما كانت المدرسة من اولى المؤسسات التعليمية الرسمية التي ظهرت في الدولة العربية الاسلامية فكان لابد لها من نظام تعليمي يختص بها لاسيما فيما يتعلق باختيار شيوخها وطلابها ومنهاجها لذا تولى نظام الملك نفسه الاشراف عليه , واهم ما يميز النظام التعليمي لهذه المدرسة انها عُدت من

المدارس الأحادية اذ عنيت بتدريس مذهب فقهي واحد هو المذهب الشافعي لذا اشترط ان يكون المدرس فيها والواعظ ومتولي الكتب من الشافعية أصلا وفرعاً[٣٠] .

أراد نظام الملك في إنشاءه لهذه المدرسة كسب العلماء وإزالة الجفاء بينهم وبين السلطة لذا تولى التدريس فيها من هم من أكابر العلماء كان لهم دوراً كبيراً في تطور العلوم والمعارف عن طريق مؤلفاتهم ومحاضراتهم المعمقة ومنهم ابو اسحق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) والإمام ابو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) وابو النجيب السهر وردي (ت٥٦٣هـ)، أما نظام الدراسة فيها فكانت مدتها قرابة أربع سنوات يدرس فيها الطالب الفقه وأصوله والعلوم المساعدة الأخرى ولاسيما اللغة العربية[٣١].

قامت المدارس العراقية بأداء رسالتها التعليمية وقدمت خدمات جليلة ساهمت في نهضة العلوم والمعارف بشتى أنواعها، كالتفسير والفقه والعلوم الأدبية والرياضية والعلوم العضلية وأصبحت لها شخصية متميزة وبارزة في عالم الثقافة وأصبحت لها شهرة واسعة بين المدارس الإسلامية لاسيما النظامية المستنصرية، كما أدت دوراً كبيراً في نشر الثقافة العراقية إلى مختلف بلدان العالم الإسلامي .

٢.المدرسة المستنصرية :

من مفاخر بغداد بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦-١٢٤٢م) واقتحمت سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)، ولم يبن مثلها لحسن عمارتها ورفعة بناءها وطيب موضعها على نهر دجلة، وزيادة في جمالها وضع على بابها إيوان ركب في صدره صندوق الساعات على وضع عجيب يعرف منه أوقات الصلوات[٣٢] .

وتتضح أهمية المدرسة المستنصرية من خلال اهتمام الخليفة المستنصر بالله بها اذ أستغرق بناؤها قرابة الست سنوات فشرع ببنائها سنة ٦٢٥هـ وافتتحت في اليوم الخامس من شهر رجب سنة ٦٣١هـ، وبلغت النفقة عليها سبع مئة الف دينار، لذا وصفت بأنها ((مدرسة ما بني على وجه الأرض، أحسن منها ولا أكثر منها وقوفاً))[٣٣] .ومن جانب آخر كان لهذه المدرسة أهمية خاصة، اذ ان المدارس التي سبقتها كانت تشيد كل منها لدراسة مذهب واحد بعينه ولكن هذه المدرسة هي أول مدرسة عرفها العالم الإسلامي اهتمت بتدريس المذاهب الأربعة، بالإضافة إلى دراسة التفسير وعلوم القرآن والطب والرياضيات واللغة العربية حتى عدت أول جامعة حسب مفهوم الجامعات الحديثة اليوم[٣٤] .

في الوقت نفسه حرص الخليفة المستنصر بالله على تنظيم المدرسة تنظيماً دقيقاً لم يسبق له مثيل من حيث الإدارة والتدريس وشؤون الطلبة فيها، اذ جعل ادارتها بيد ((ناظر)) يختار من بين كبار موظفي الدولة يساعده عدد من الموظفين المختصين، وجعل لكل مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة مدرس ضالع يعينه الخليفة بنفسه ثم يخلع عليه بدار الوزارة خلعه التدريس، ويسير بموكب مهيب من الولاة وأرباب المناصب، أما الطلبة الدارسين فكانوا يتخيرون من بين النابهين من مختلف العالم الإسلامي،

وكان عدد الدارسين في الفقه (٢٤٨) طالباً موزعين على المذاهب الأربعة اثنان وستون طالب لكل مذهب، اما مدة الدراسة فكانت بين ٤-٦ سنوات[٣٥] . ومن أجل إدامة هذه المدرسة الحق بها مرافق أخرى زادت من قدرتها على العطاء، وكانت المكتبة أهم هذه المرافق، اذ احتوت هذه المكتبة على الكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية والعلمية،

فضلاً عن قيام بعض العلماء بوقف كتبهم عليها، كما الحق بالمدرسة سكن داخلي أشبه بالأقسام الداخلية في الوقت الحاضر كانت توفر لطلبتها المأكل والمسكن فضلاً عن رواتب شهرية جارية تعين الطالب على الدراسة . ان تنوع العلوم والمعارف والادآب التي كانت تدرس في المدرسة المستنصرية يشير إلى تطور كبير في نظام التعليم في العراق، ويحق للباحث ان يشبه هذه المدرسة بالجامعة الحديثة لشموليتها فكان العراق سباق في هذا المجال اذ شرع العالم من بعده في السير على نهجه فبنوا المدارس على غرار المدرسة المستنصرية .

المبحث الثالث :

الكتاتيب ودور العلم :

كان في العراق إلى جانب المساجد والمدارس وسائل تعليمية اخرى هي الكتاتيب ومفردها ((كتاب)) وان كانت هذه الوسيلة قد اختصت بتعليم الاطفال والصبيان الا انها كانت وسيلة مفيدة وناجحة ساهمت في تعليم الاطفال القراءة والكتابة ومبادئ الدين الإسلام مع معلومات بسيطة في الحساب والنحو والشعر، الا ان عنايتها الاكبر كانت تنصب إلى تحفيظ الصبيان القرآن الكريم[٣٦]

لاشك ان هذه الوسيلة ساهمت بشكل واضح في اعداد نشيء جديد ومتعلم أخذ طريقه فيما بعد إلى المساجد والمدارس ليصبح طليعة للعلماء والمفكرين في العراق، كما ظهرت في العراق مؤسسة تعليمية اخرى هي دور العلم وأهمها ((بيت الحكمة)) او ((دار الحكمة)) كان الغرض من إنشائها تعريب العلوم الأجنبية وتدقيق تراجم العلماء السابقين ثم عرض نتاجا تهم العلمية ووضعها بيد الدولة والناس لسد حاجاتهم ولتوسيع العلم والمعرفة[٣٧] , ولا ريب ان هذه المؤسسة لم ينفذ عطائها او تقليدها العلمي بل مازالت ترفد الجامعات العراقية بالمعرفة والعلوم المختلفة.

وفي بيت الحكمة أيضاً كانت تعقد مجالس العلم للمناظرة من أجل التوصل إلى حقائق علمية معينة وأشهر من أشتغل فيها ابو سهل الفضل بن نوبخت وقد عهد اليه ترجمة كتب الحكمة من الفارسية إلى العربية، وابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي الذي أشتهر بالعلوم الرياضية[٣٨] ، ولازال بيت الحكمة والى وقتنا الحاضر يؤدي دوره الواضح في مختلف النشاطات الثقافية والاجتماعية عن طريق عقد المؤتمرات والحلقات النقاشية وإصداره لمؤلفات وكتب أغنت الساحة الثقافية والتاريخية العراقية .

لقد سارت الوسائل التعليمية الثلاث في العراق جنباً إلى جنب وكانت تهدف إلى إثراء العلوم والمعارف وذاع صيتها حتى أصبح الطلبة يفدون إليها من أنحاء العالم الإسلامي و أصبح العراق قبلة

ومناراً ينظر إليه العلماء والمثقفين بإجلال واحترام، الا ان هجوم المغول ودخولهم بغداد عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) أطفأ هذه الشعلة وأدى الى ضياع كثير من التراث العلمي .

الخاتمة والاستنتاجات :

١- لم تكن مدارس العراق حديثة الولادة بل شهد تأسيس مدارس منذ تاريخه القديم اذ أسس الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) اول مدرستين الاولى في سيار والثانية في كيش , وهذا العمق الحضاري اعطى رصانة وقوة علمية للجامعات والمعاهد العراقية في الوقت الحاضر .

٢- كان من نتاج الوسائل العلمية في العراق التحول من علم الكلام إلى الفلسفة ولم يكن يعرفها العرب من قبل، فكان لظهور الفيلسوف الكندي الدليل الواضح على ذلك.

٣- سجل العراقيون القدماء سبقاً تاريخياً في التشريع القانوني اذ أصدروا اقدم القوانيين وأهمها قانون اور نمو وليث عشتار واشنونا وحمورابي، وكانت هذه القوانيين الاساس التي انطلقت منها التشريعات العالمية ومنها قوانيين جستنيان التي اصدرها الامبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) .

٤- لم تكن المدارس العراقية المشهورة ومنها خاصة النظامية والمستنصرية تقتصر على طلبة العراق بل كان يفد اليها الطلبة من مختلف نواحي العالم الاسلامي مما ادى إلى انتشار النظم والتقاليد والثقافة السائدة فيها والتي عراقية خاصة إلى بلدان العالم الاسلامي .

٥- أتسمت الوسائل التعليمية في العراق قديماً بالبساطة واليسر كما كان طالب العلم يدفعه حماسه ورغبته للتعلم، ولم يتعاطى المدرسين والعلماء اجور مقابل تعليمهم لعامة الناس على عكس ما موجود في الوقت الحاضر، اذ أثقل كاهل الطلبة بأجور باهضة مقابل دروس خصوصية يتلقونها من مدرسيهم .

٦- مثل الدارسين في المساجد والمدارس العراقية كالصحف والمجلات السيارة اذ ساهموا في نقل الحضارة والثقافة العراقية إلى مختلف بقاع العالم الاسلامي .

٧- تبين من خلال البحث ان الجذور التاريخية للعلوم كان أساسا رصينا للعلوم والمعارف في الوقت الحاضر.

٨- كان للوسائل المعرفية والعلمية في العصور الأولى اثر واضح في تطور البحث العلمي المعاصر .

الهوامش

١- سليمان والفتيان، عامر وأحمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، (مط جامعة الموصل)، لا.ت ، ص١٣٢

٢- القلقشندي، ابي العباس احمد (ت ٨٢١هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، المطبعة الاميرية، (القاهرة، لات)،ج٣، ص١٥ .

٣- سورة العلق ، الايات ١-٤ .

٤- سورة المجادلة ، الاية ١١ .

٥- الخربوطلي، علي حسن، الحضارة العربية الاسلامية، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٧٥)، ص٢٣٨ .

٦- حسين أمين، نشأة الحركة التعليمية في العراق، بحث منشور ضمن مجلة المؤرخ العربي، العدد السابع، ١٩٧٧، ص٧ .

٧- الخربوطلي، الحضارة العربية الاسلامية، ص٢٤٠ .

٨- جار الله ، زهدي، المعتزلة، (الاهلية للنشر والتوزيع)، لات، ص١٢ .

٩- المعاضيدي، خاشع وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة العربية، (مط جامعة بغداد، ١٩٧٩)، ص٢٢٩ .

١٠- زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، (مط الهلال، لات)، ج٣، ص٤٢ .

١١- الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والسيرة الراشدة، (مط جامعة الموصل، ١٩٩٤)، ص١٩٣

١٢- الخربوطلي، الحضارة العربية الاسلامية، ص٢٤٣ .

١٣- ابن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ)، سيرة عمر بن عبد العزيز، الطبعة الرحمانية، (القاهرة، ١٩٢٧)، ص٦٦ .

١٤- جاسم، مهند ماهر، القضاء في العصر الاموي، دار الحقائق للطباعة والنشر، (حمص، ٢٠٠٩)، ص١٧٧ .

١٥- الخربوطلي، الحضارة العربية الاسلامية، ص٢٤٠ .

١٦ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين، دار النفائس، (بيروت، ٢٠٠٢م)، ص٢١٥ .

١٧- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين (ت ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين، مط السعادة، (القاهرة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، ج٢، ص١٩ ؛ حسين أمين، نشأة الحركة التعليمية في العراق وأثرها في نهضة الاداب والعلوم، مجلة المؤرخ العربي، (العدد الرابع، ١٩٧٧م)، مط جامعة بغداد، ص١١ .

١٨- الشهرستاني، الامام محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، (القاهرة، ١٩٢٨م)، ج١، ص٥٥ ؛ جار الله ، زهدي، المعتزلة، (الاهلية للنشر والتوزيع، لات)، ص١٨ .

١٩- ابو بكر الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ)، رسائل الخوارزمي، (القاهرة، ١٣١٢هـ)، ص٣٠ .

٢٠- طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين، ص٢١٦ .

٢١- حسين أمين، نشأة الحركة التعليمية، ص١٠ .

٢٢- معروف، بشار عواد، أزدهار الحركة الفكرية في العراق، بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ ،ص٢٣ .

٢٣- ناجي والهادلي، عبد الجبار حسين داخل، بغداد في كتابات الرحالة العرب والاجانب، بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠٠٣)، ص١٧٣ .

٢٤- العلي، صالح أحمد، بغداد تأسيسها ونموها، بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ، ص٢٧٧ .

٢٥- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، معجم الادباء، دار بيروت للطباعة، (بيروت، ١٩٥٧م)، ج٤، ص٢٤٣ .

٢٦- الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد او مدينة السلام، نسخه مصورة عن مط السعادة، (بيروت، لات)، ج١، ص١٨ .

٢٧- الخربوطلي، الحضارة العربية الاسلامية، ص٢١٨ .

٢٨- ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٥م)، ج٨، ص١٠٥ .

٢٩- حسين أمين، نشأة الحركة العلمية، ص١٨ .

٣٠- نظام الملك , الحسن بن علي بن اسحق الطوسي , (ت٤٨٥ هـ) ,سياست نامة , تح يوسف بكار , دار الثقافة , (قطر , ١٤٠٧هـ) ,ص١٥-١٦ , معروف، أزدهار الحركة الفكرية، ص٥٠٦ .

٣١- ابن جبير، ابو الحسن حمد بن احمد (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، (بيروت، ١٩٨٦م)، ص١٧٣-١٨٤ .

٣٢- ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية، (بغداد، ١٩٧٥م)، ص٣٠

٣٣- السامرائي وآخرون، خليل أبراهيم، تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي، (دار الكتب للطباعة والنشر، (جامعة الموصل، ١٩٨٨م)، ص٣٥٠.

٣٤- معروف، تاريخ علماء المستنصرية، ص٣٠ .

٣٥- معروف، أزدهار الحركة الفكرية، ص٤٧٣ وما بعدها .

٣٦- حسين أمين، نشأة الحركة العلمية، ص١٤ .

٣٧- السامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية، ص٩٥ .

٣٨- ابن النديم، ابو الفرج محمد بن أسحق (ت ٣٨٥هـ)، الفهرست، مط الاستقامة، (القاهرة، لات)، ص٣٩٣-٣٩٦ .

List of sources and references

1.bn Al-Atheer, Abu Hassan Ali bin Abi Karam (T 630H), full in history, (Dar issued, Beirut, 1975 m.(

2 .Al-Khatib al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmed bin Ali (T 463H), History of Baghdad or the city of peace, a photograph of happiness, (Beirut, LAT.(

3 .Amin, Hussein, the emergence of the educational movement in Iraq, a publication published within the magazine of the Arabic historian, the 7th issue, 1977.

4.Jarallah, Zahdi, Mu'tazila, (National Publishing and Distribution), Lat.

5.Jassem, Muhannad Maher, Elimination in the Umayyad Age, Dar Al Fakiah Printing and Publishing, (Homs, 2009.(

6.Ibn Jubair, Abu Hasan Hamad bin Ahmed (T 614H / 1217 m), Jabir Journey, (Beirut, 1986.(

7.Kharboulay, Ali Hassan, Islamic civilization, Al Khanji Library, (Cairo, 1975.(

8.Ibn Khakan, Abu Abbas Shams al-Din (T 681H), Deaths and Sons of Time

Jargi, Zidane, history of Islamic civilization, (Crescent, LL .(9
10. Suleiman and boys, Amer and Ahmed Malik, lectures in ancient history, (University of Mosul.(١١ - Samarrai et al.

11.Shahristani, Imam Mohammed bin Abdul Karim (T 548H), boredom and bees, (Cairo, 1928.(
12.Takhush, Mohammed Suhail, History of Al-Rashed, Dar Al-Nafhasid, (Beirut, 2002.(
13.Ibn Abdel Hakim (T 214H), Biography of Omar bin Abdul Aziz, Al-Rahmaniya Edition (Cairo, 1927.(
14.Al Ali, Saleh Ahmed, Baghdad established and growth, research within the book of Iraq in history.

15. Al-Qasrandi, Abi Abbas Ahmed (T 821H), Sobh Aji in the Index, Amiri Press, (Cairo, LAT.(
16.Madadi, disadvantaged and others, studies at the history of Arab civilization, (University of Baghdad, 1979.(
17.Navigator, Hashim Yahya, mediator in the Prophet's Biography and the Rathah (University of Mosul, 1994.(
18.Known, Bashar Awad, the prosperity of intellectual movement in Iraq, discussed within the book of Iraq in history.
19. Naji and Hadley, Abdul Jabbar Hussein inside, Baghdad in the writings of Arab and foreign travelers, Beit al-Hikma, (Baghdad, 2003.(
20. Ibn al-Nadim, Abu Al-Faraj Mohammed bin Ishaq (T 385 e), Fahrst, Housing, (Cairo, LAT.(
21 .al. Hamwi, Shahabuddeen Abu Abdullah (T 626H), Dictionary of Medicine, Dar Beirut Printing, Beirut, 1957 m(